جامعة أكلي محند أولحاج -البويرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

التخصص: فلسفة العلوم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموضوعية في التاريخ

من إعداد الطلبة :
. موساوي عزيز
. ياحي صبرينة

إشراف الأستاذ :
. نابت عبد النور

السنة الجامعية
2015-2014

كلمة شكر

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف نابت عبد النور

على إشرافه لهذه المذكرة المتواضعة

و على صبره معنا و تفهمه و نصائحه و توجيهاته القيمة.

كما لا يفوتنا أن نوجه مقدما شكرنا الجزيل إلى الأساتذة الكرام

أعضاء اللجنة المناقشة على تفضلهم لقبول الاطلاع على هذه المذكرة

و مناقشتها، و توجيه ملاحظاتهم التي لن تزيد هذا البحث إلا تقويما و ثراء.

الإهداء

أهدي عملي هذا المتواضع إلى:

الوالدين الأعزاء حفظهما الله و أطال في عمرهما.

إلى كل إخوتي حفظهم الله.

و إلى كل الأصدقاء.

عزيز

© Ladia Lynn

الإهداء

أهدي عملي هذا خالصا لوجه الله تعالى.

إلى الذي يعجز القلم أن يخط أسمى عبارات الحب،

الذي سقاني بحنانه و عطفه و غرس في نفسي حب المثابرة و الاجتهاد

و انتظر نجاحي بفارغ الصبر " أبي الغالي " أطال الله في عمره.

إلى التي لا تكفي الكلمات لوصفها و العبارات لشكرها،

إلى من كانت مثالا للصبر و التضحية،

إلى من بكت لبكائي و فرحت لفرحتي

إلى سيدة نفسي " أمي الحنونة " حفظها الله.

إلى كل إخوتي حفظهم الله.

و إلى كل من يعرفني من بعيد أو من قريب.

صبرينة

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

مقـــــــدمة

الفـــصل الأول

مفـهـوم التـاريـخ

الفـصل الثـانـي

الدراسات التاريخية عند

الإغريق القدامى و المسلمين

الفـصل الثـالث

الدراسات التاريخية في عصر النـهضة

الفصل الرابع

الدراسات التاريخية في العصر الحديث

خـــــــاتمة

قائـــمـــة

المصادر و المراجع

مقـــدمة:

إن وقـائع التـاريـخ كثيـرة، و أفهـام النـاس لـه متعددة، تدويـنه غزيـر و مديـد، و تعلق الجميع به شديد، فهو قوام الفرد و المجتمع و عليه تبنى المدن و تبعث الأمـم، حتى صـار الأفـراد و المجتمعات يتفاخرون فيـما بينهم بمقدار ما يضفون على تاريـخهم من مجد و رفعـة.

و لقد تـطور التاريـخ بشكـل ملحوظ في زماننا هذا، نظرا لأهميته في تحديد مكانة الأمم، فهو سلاح لا يقل خطورة عن الأسلحة المادية خصوصا في الظروف التاريـخية التي نعيشها و التي يشوبها الصراع الحضاري و الغزو الثقافي.

بيد أن تفطن المؤرخـين و فلاسفـة التاريـخ بضرورة قيام التاريـخ على مجموعة من القواعد أو الأسس المنهجية التي تمكننا من الوصول إلى المعرفـة الصحيحة كان منذ القديـم عند المؤرخ اليوناني (هيرودوت) في القرن 5/ ق.م الملقب بأب التاريـخ. و استمر ذلك إلى غاية القرن19 أين عرف تفسير التاريـخ توسعا كبيرا بتوسع المعارف و تنوع الوثـائق و تقدم طرائـق البـحث و التنقيب، كما تنوع المفسرون للتاريخ باختلاف ثقافتهم و أفكارهم و أزمنتهم فانعكس ذلك على طبيـعة التفسيـرات و أنواعها. و على المنـاهج المتبعة في الـدراسات التاريـخية.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية دراستنا للموضوعية في التاريخ في كونها تندرج ضمن مباحث فلسفة التاريخ في جانبها الابستمولوجي.

ذلك نظرا لما يطرحه هذا الموضوع من إشكاليات تهدف إلى تحديد المقصود بالتاريخ، موضوعه و منهجه، بالإضافة إلى إبراز الجدال الذي كان قائما بين العديد من المفكرين: من مؤرخين و فلاسفة التاريخ.

أسباب اختيار الموضوع:

من العوامل التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع:

أولا: أهمية الموضوع بحد ذاته، إذ هو يشكل دراسة لمناهج البحث من حيث الطرق المستعملة في الكتابة التاريخية و نوعية الوثائق المعتمدة، و كيفية التحقق من الأخبار. و بالتالي فهو عبارة عن فحص دقيق لمنهجية المؤرخ التاريخية.

ثانيا: رغبتنا في الوقوف عند التفسيرات الكبرى للتاريخ و فهم فحواها و تقييم دورها في توسيع مفهوم التاريخ.

بعض الصعوبات:

_ عمـومية الموضوع أرهقتنا في عملية البحث، حيث يقتضي الأمر قـراءة العديـد من المؤلفـات ذات الصلة بالموضوع و التمعن فيها من أجل الوقـوف عند أهم المحطات الفكرية التي شهدتها الدراسات التاريخية.

_ افتقـار مكتبة الجامعة للكتب و الدراسات التي تخدم موضوع بحثنا.

_ بـعد المكتبة الوطنية عن مقر سكنانا.

إلا أن التقدم العلمي الذي ننعم به في عصرنا الحالي و توفر خدمة الانترنت أزال علينا و لو جزءا من تلك المعاناة، حيث مكننا فعلا من تحميل العديد من المؤلفات القيمة التي تخدم موضوع البحث.

إشكالية الموضوع:

ان الإشكال الرئيسي الذي يتبادر إلى أذهاننا و نحن إزاء البحث في: " الموضوعية في التاريخ " يتمثل فيما يلي:

- هل الدراسات التاريخية دراسات موضوعية ؟.

غير أن هذا الإشكال يثير عدة اسئلة فرعية:

- ما المقصود بالتاريخ ؟، ما هو موضوعه؟.
- ما مكانة التاريخ بين العلوم و الفنون؟.
- كيف يمكن أن تكون المعرفة التاريخية ممكنة ؟.

كل هذه الإشكاليات سنحاول معالجتها في دراستنا هذه وفقا للخطة التالية و التي ارتأينا أن نقسمها إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: جاء تحت عنوان: مفهوم التاريخ وكان بمثابة مدخل عام للموضوع، حيث عالجنا فيه المقصود بالتاريخ موضوعه والهدف منه، وذلك بصفة عامة، بالإضافة إلى تحديد مكانة التاريخ بين العلوم والفنون.

الفصل الثاني: بعنوان: الدراسات التاريخية عند الإغريق القدامى والمسلمين، تناولنا فيه نظرة هؤلاء للتاريخ و منهجيتهم في كتابة التاريخ.

الفصل الثالث: بعنوان: الدراسات التاريخية في عصر النهضة الأوروبية، عرضنا فيه المفكرين الذين ساهموا في تقدم المعرفة التاريخية بعدما سيطر عليها التفكير الغيبي في العصور الوسطى، مشيرين إلى بعض الفلاسفة الذين كانت لهم نظرة احتقار للمعرفة التاريخية أمثال (رونيه ديكارت) .

الفصل الرابع: بعنوان الدراسات التاريخية في العصر الحديث.

عالجنا فيه أهم التفسيرات الكبرى في التاريخ بدءا من التفسيرات المثالية (هيجل) و المادية (ماركس) و وصولا إلى التفسيرات الوضعية التي حاولت تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في الدراسات التاريخية.

أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعناه في دراستنا فكان هو المنهج التحليلي النقدي الذي يتلاءم و طبيعة الموضوع.

1) مفهوم التاريخ:

المبحث الأول: المقصود بالتاريخ:

ليس من اليسير تعريف التاريخ لغة و اصطلاحا، يقال من حيث اللغة تاريخ كل شيء أي غايته و وقته الذي ينتهي إليه زمنه و يلتحق به ما يتفق من الحوادث و الوقائع الجليلة و أنه إثبات الشيء، و هو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين و التوقيت و موضوعه الزمان و المكان.[1] كما أن التاريخ هو أيضا علم يبحث فيه عن حوادث البشر في الزمن الماضي، و هو من أهم العلوم التي يفتقر إليها الإنسان لأنه به يعرف أمور جنسه و يعرف نفسه. و التاريخ ليس مجرد سرد الأحاديث و الأنباء فقط لأن مصدر لفظ " تاريخ " تطلق تارة على الماضي البشري و تارة على الجهد المبذول لمعرفة الماضي و رواية أخباره أو العلم المعني بهذا الموضوع، و هناك أيضا تعريف آخر للتاريخ و معناه دراسة الحوادث نفسها و الحادث هو كل ما يطرأ من تغيير على حياة البشر و ما يطرأ من تغيير على الأرض متصلا بحياة البشر، و إذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، و كانت هذه الحوادث هي تغيّرات و التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية و هو العلم الخاص بالجهود البشرية.[2]

و التاريخ هو الماضي أو الأحداث التى طواها الزمن في غيابه و لم تعد تهمّنا في قليل أو كثير و ليس هذا بصحيح. فالتاريخ يشمل الماضي و الحاضر والمستقبل معا و لا يمكن الفصل بينهما، و كما نجد المؤرخ (راوس) يرى أن التاريخ يبحث في المجتمع الإنساني و في حكايته و يعتبر ابن خلدون أول من أشار صراحة إلى فكرة التاريخ في مقدمته و كما يرى آخرون أن التاريخ هو كيان الأمم فلا توجد أمّة إلا و لها تاريخ. و يعرّفونه بأنه فرع عظيم من فروع المعرفة و كتابته فن قديم العهد، و كل فرد يعرف ما معنى التاريخ.[3]

---

[1]) فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص.09- 11

[2]) د. قاسم يزبك: التاريخ و منهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص. 71.

[3]) محمود محمد الحويدي: منهج البحث في التاريخ، الناشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ص.20

و كما قلنا أن هناك تعريفات عديدة للتاريخ فنجد من بينهم أيضا التعريف الذي يقول أن التاريخ لفظ يدل على معاني متفاوتة، فالبعض من الكتّاب يعتبرون ان التاريخ يشمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله بما يحويه من أجرام و كواكب و من بينها الأرض. و في هذا المجال نجد أن بعض المؤرخون قد اتجهوا في كتاباتهم بالكلام عن نشأة الأرض، غير أن أغلب المؤرخون يقولون ان معنى التاريخ هو علم بحث و استقصاء حوادث الماضي و كلمة " تاريخ " تدل على مطلق مجرى الحوادث الفعلي يصنعه الأبطال و الشعوب التي وقعت منذ أقدم العصور و استمرت و تطورت في الزمان و المكان حتى الحاضر.[1]

و هناك أيضا تعريف آخر للتاريخ فنجد في اللغة على انه التعريف بالوقت و تاريخ الشيء وقته وغايته و التاريخ أيضا علم يبحث في الوقائع و الحوادث الماضية ،و الحق كما يقول ابن خلدون إنه خبر عن الاجتماع الإنساني هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش و التآنس و العصبيات و أضاف التقلبات للبشر بعضهم على بعض،وما ينشأ عن ذلك من الملك و الدول و مراتبها، وما يستحله البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب و المعاش والعلوم و البضائع و سائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.[2]

ولم يكن لكلمة التاريخ في الماضي معنى واحد، ففي المعجم الفلسفي نجد أنها كانت تدل عند " سقراط " على المعرفة، و عند أرسطو تدل على مجرد جمع الوثائق و التاريخ عند " فرانسيس بيكون" هو العلم بالأمور الجزئية لا بالأمور العامة، و القوة النفسية اللازمة له وهي الذاكرة وهو ضد فكرة الشعر لأن الشعر موضوعه وهمي وموضوع التاريخ واقعي وضد الفلسفة لأن موضوع الفلسفي كلي و موضوع التاريخ جزئي.[3]

[1]) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط.8. كورنيش النيل، القاهرة، ص. 129

[2]) ابن خلدون: المقدمة، ط.1، بيروت، لبنان، 2004، ص.47

[3]) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1971، ص.227، 228

المبحث الثاني: مكانة التاريخ بين العلوم و الفنون

يحتل التاريخ بين فروع العلوم الإنسانية مكانا صدرا ، وتشغل المؤلفات فيه نسبة عالية من الكتب التي تصدر في الشرق والغرب على السواء وإلى ما قبل الحرب العالمية الأولى كانت المؤلفات في التاريخ وما يتصل به من تراجم وقصص تاريخية وآثار سياسية تكون خمس المكتبة العالمية. ولكن في أيامنا هذه ورغم اتساع ميادين المعارف وغلبة الاهتمام بالعلوم الطبيعية والرياضية والطبية لازالت مؤلفات التاريخ تحتل جانبا ضخما ، وخاصة إذا ما أضفنا إليها هذا النوع الجديد من الكتب الذي يؤلفه مجموعة من أذكياء أهل الصحافة والأدب عن حوادث التاريخ وهذا ما يدل على أن التاريخ لازال من أكثر فروع العلوم الإنسانية قربا إلى قلوب الناس ومع ذلك ومازال التحقيق << التاريخ >> ومكانته بين العلوم وطبيعته وفائدته موضوع شك ونقاش طويل بين المؤرخين والفلاسفة. وتتلخص آراء الناقدين لعلم التاريخ من المسلمين أنه علم لا ينفع إذ هو يشغل الإنسان بأخبار الماضيين وأساطير الأوليين عما ينفع الإنسان في أواخره من علوم الدين .[1] ولكن ترجع المشكلة وما هي حقيقة المشكلة أساسها أن العرب أطلقوا على التاريخ أحيانا اسم علم وأحيانا اسم فن والعرب الأولون قسموا المعارف الإنسانية إلى علوم وفنون فالعلوم هي علوم الدين من قرآن وحديث وما يتصل بذلك من علوم اللغة من نحو وصرف وتركيب وبيان وبديع وما عدا ذلك من ضروب المعرفة وميادينها تسمى فنونا، فابن خلدون يسمي التاريخ أحيانا علما وأحيانا فنا و ابن النديم يسمي كل فروع المعرفة فنونا و نجد أيضا حاجي الخليفة يسمي كتابه كشف الفنون في أسامي الكتب و الفنون و قد يتوسع المؤلفون العرب و يجعلون كل فروع المعرفة أدبا فيما عدا علوم الدين و هي علوم القرآن و الحديث و اللغة و النحو.[2] و هنا حدث اختلاف حول التاريخ هل هو علم أم فن؟ فنجد (وليام ستانلي جيفوتر) قال أن التاريخ لا يمكن أن يكون علم لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة و المشاهدة و الفحص و بذلك لا يمكن في دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة أو الكيمياء. [3]

[1]) حسن مؤنس: التاريخ و المؤرخون، دراسة في علم التاريخ ، كورنيش النيل، القاهرة، 1974.
[2]) حسن مؤنس: المرجع نفسه، ص. 56، 57.

و قد أيد هذا الرأي (كارل بوبر) في كتابه عقم المذهب التاريخي الإنساني و الذي يتلخص في ان المعرفة الإنسانية للتاريخ لا يمكن ان نصل اليها سواء بالطرق العقلية أو العلمية ،و كما يرى البعض أنه من الصعب أن يعد التاريخ علما، خصوصا إذا لاحظنا أن التاريخ لا يخلق لنا نفسه إنما يخلق لنا تغيرات ،و من هنا كان علما شاء أو لم يشأ أن يكون ذاتيا و أن يقف على قدرة ذاتية خالصة للقائم بالبحث التاريخي، خصوصا إذا لاحظنا من ناحية أخرى أن الوثائق لا تعطيني صورة سينمائية عن الحادث و غاية المؤرخ أن يستعيد الوقائع التاريخية في ذهنه و حده يمكن له أن يؤرخ تأريخا حقيقيا.[1]

و نجد أيضا (هرنشو) في كتابه << علم التاريخ >> يشير إلى أن التاريخ ليس علم تجربة و اختبار كالكيمياء و لكنه علم نقد و تحقيق و أقرب للعلوم الطبيعية و شبهها به. و هو علم الجيولوجيا فكل من الجيولوجي و المؤرخ يدرس آثار الماضي و مخلفاته لكي يستخلص ما يمكن استخلاصه عن الماضي و الحاضر، و على أي حال استقر الرأي على أن التاريخ علم بالمنهج أي أن موضوعه الأساسي هو الإنسان و لا يسمح بأن تكون له قوانين لها دقة كقوانين العلوم و لكننا ندرسه بمناهج البحث العلمي من دراسة للمادة و تحليلها تحليلا دقيقا و من هنا أشار (هرنشو) يقول أن التاريخ علم على الرغم من أن التعريف الذي يقدمه (اللورد أكتون) يدل على أن التاريخ ليس علما في ذاته، فلقد اهتم بتحديد لفظ العلم ليتوصل إلى أن التاريخ علم.[2]

و هناك العديد من المؤرخين يقولون أن المنهج التاريخي علمي في حدود، أي أن النتائج التي يتوصل إليها الباحث في التاريخ تخضع للتحقيق و الاتفاق بين الخبراء و عدم الاتفاق بينهم عن فهم إدراك و تدوين التاريخ أقرب إلى الفن و الفلسفة، فقد يدعو المؤرخ أحيانا عن وعي منه إلى الأخلاق و يقوم بهذه العملية أحيانا عن غير وعي أو قصد و هو في هذه الحالة الثانية صاحب فلسفة أو هو بعبارة أدق خطر إذا اعتقد أنه صاحب فلسفة ليست لديه في الواقع. [3]

---

[1]) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، بيروت، 1988، ص.217، 219.

[2]) حسن مؤنس: المرجع السابق، ص. 17، 19.

3) لويس جويشك: مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، تر.عائدة سليمان عارف، أحمد مصطفى أبو حاكم، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، 1966، ص 15، 17.

و هناك العديد من يرون أن التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين و التوقيت و موضوعه الإنسان و الزمان، و حينما أخذ الإنسان البدائي منذ فجر المدنية يقص على أبنائه قصص أسلافه ممتزجة بأساطيره و معتقداته بدأ التاريخ يظهر حيز الوجود في صورة بدائية أولية و بدأ الإحساس به يتكون في ذهن البشرية من أقدم العصور و تدرج التعبير عن التاريخ مختلطا أولا بعناصر من الفن كالرسم و النقش على الحجر، و عندما سارت البشرية قدما في مضمار الحضارة في شتى أساليبها و صورها رويدا رويدا أخذ التاريخ يشكل جوهرا في تسجيل مركب البشرية إذ هو المرآة أو السجل أو الكتاب الشامل الذي يقدم لنا ألوانا من الأحداث و فنونا من الأفكار و صنوفا من الأعمال و الآثار، فنجد بعض المؤرخين يعتبرون التاريخ كله معاصرا فلا يستطيع الإنسان أن يفهم حاضره و نفسه دون أن يفهم الماضي لأن معرفة الماضي تكسبه خبرة على فهم نفسه و يكون قادرا على حسن التعرف في الحاضر و المستقبل. و في أواخر العصر الماضي اختلف بعض رجال العلم و التاريخ و الأدب في وصف التاريخ بصفة العلم أو نفيها. فقال بعض العلماء أن التاريخ لا يمكن أن يكون علم لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة و المشاهدة و يرى بعض رجال الأدب أنه سواء أكان التاريخ علما أم لم يكن فهو فن من الفنون و أن العلم لا يمكنه أن يعطينا عن الماضي سوى العظام المعروقة اليابسة و أنه لابد من الاستعانة بالخيال لكي تنشر تلك العظام و تبعث فيها الحياة، و كما يقول (هرنشو) أنه على الرغم من أننا لا يمكننا أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية ثابتة على غرار ما هو كائن في العلوم الطبيعية الا انه أنه لا يجوز أن نجرده من صفة العلم أو كما يقول أن التاريخ ليس علم تجربة و لكنه علم نقد و تحقيق.[1]

[1]) حسن عثمان:المرجع السابق، ص. 15، 17.

المبحث الثالث: موضوع التاريخ

إن التساؤل عن موضوع التاريخ بمعنى ما الذي يبحث فيه التاريخ؟ هذا الموضوع كان محل نقاش وجدال بين عدد كبير من المؤرخين و المفكرين الغربيين فمنهم من يرى أنه يبحث في الموجود في مخلفات الماضي و سجلاته التي قد تفيد على جلاء الحاضر و توضيحه و لكي يتعين له موضوعه أن نقرن اسمه بوصف من الأوصاف و على ذلك تكون الشؤون الماضية للدول موضوع التاريخ السياسي و الشؤون الماضية للكنيسة موضوع التاريخ الكنسي و منه فنطاق التاريخ يتسع لجميع الصوالح البشرية بمعنى كل ما سيقع على الإنسان أو ما يقع عليه، وكل ما يبنيه أو ما يهدمه داخل في حدود البحث التاريخي و البحث هذا يقصد به جلاء الحاضر و توضيحه.[1] و نجد أيضا (مارو) في كتابه " من المعرفة التاريخية " لماذا أضاف ماضي أناس على قيد الحياة في المجتمع و نحن نقبل كل ما اختص بماضي الإنسان كل الذي نستطيع التوفيق إلى إدراكه و عندما نتساءل عن ماهية التاريخ فأجاب قائلا: التاريخ هو المعرفة بالماضي الإنساني ... نقول معرفة لا سرد للماضي الإنساني كالآخرين و هو يعني بذلك إمكانية إدراك السلوك الممكن و الأفكار و المشاعر و الأحداث و الباطن أيضا، كل أعمال الإنسان المادية و العقلية في مجتمعاتهم و حضاراتهم، تلك الأعمال التي يدرك من خلالها مبدعها و لذلك يقول بكلمة واحدة ماضي الإنسان من حيث هو إنسان الإنسان الذي صار إنسانا بالمقابلة مع الماضي البيولوجي ألا و هو ماضي مصير النوع الإنساني.[2]

و من الملاحظ مما ذهب إليه (مارو) اتفاق بينه و بين (كولينغوود) في كون موضوع التاريخ لا ينبغي أن يكون الماضي البيولوجي، و يتضح ذلك من خلال اهتمام (كولينغوود) بالإجابة عن السؤال المطروح و الذي انشغل المؤرخون في الإجابة عنه و هو ما الفارق الذي يحدد بين نوعين من أعمال الإنسان. نوع يندرج و نوع لا يندرج تحت التاريخ، فهذا الفيلسوف من خلال إجابته عن هذا السؤال يرى أن مسلك الإنسان لطالما كان صادرا عن طبيعته إذا كان الواقع هو أن العملية التي تنتظم ألوانا من هذا النشاط عملية طبيعية و لذا نجد المؤرخ لا يهتم بأن الناس يأكلون و ينامون و أنهم يجيبون و بذلك يشبهون ميولهم الطبيعية، و لكنه يهتم بالعادات الاجتماعية التي ابتدعها تفكير هؤلاء الناس، و لكن هذا يفترض (كولينغوود) حالة واحدة تكون

[1]) هرنشو: علم التاريخ، تر. عبد الحميد العيادي، ط.2،1982، بيروت، لبنان، ص. 9.
[2]) مارو: من المعرفة التاريخية، تر. جمال بدران، الهيئة العامة للتأليف و النشر، 1964، ص. 27.

فيها هذه العمليات الطبيعية ذات طابع تاريخي في قوله لك أن هذه العمليات لا تعد في حقيقتها أن تكون من قبيل عمليات النشاط التي تخضع لتوجيه فكرة و هي الناحية الداخلية لنشاطه و يؤكد لنا أيضا أن موضوع التاريخ في نظره لا يخرج عن إطار تحديد مفهوم التاريخ و هو تاريخ الفكر.[1]

المبحث الرابع: الهدف من التاريخ

العديد من المؤرخين الغربيين يصعب عليهم إيجاد أو تحديد هدف التاريخ، فنجد من بينهم (فيلهام فينلبند) الذي ميز بين علوم واضعة للقوانين و بين علوم " مصورة للأفكار" فالعلوم الطبيعية واضعة لأنها تهدف إلى صياغة قوانين عامة. أما العلوم الإنسانية و مناهجها مختلفة، فهي مصورة أفكار و منها علم التاريخ و تدرس العلوم ما يتكرر على نمط واحد بينما تدرس العلوم مصورة الأفكار كالتاريخ مثلا: ما حدث مرة لا يحدث مرة أخرى. و إذا نظرنا إلى طريقة تفكير كل من العالم و المؤرخ لوجدنا العالم إنما يهدف إلى المعرفة وهذه غاية العلم، بينما يهدف المؤرخ إلى التقييم و بالتالي يمكن اعتبار التاريخ من علوم القيم فالأحكام الأخلاقية التي يصدرها المؤرخون و التي يشكل ما يعرف باسم " حكم التاريخ " تجعل هذا العلم قريبا من علم الأخلاق.[2] و لعل هذا ما يجعل بعض المؤرخين يربطون بين وظيفة المؤرخ و مهمة التاريخ، فنجد (إدوارد كار) مثلا يرى أن وظيفة المؤرخ ليست صحيحة الماضي و لا هي تحديد نفسه من الماضي و إنما استيعابه و فهمه كمفتاح لفهم الحاضر. و لذلك يقول << إن تمكين الإنسان من فهم مجتمع الماضي و زيادة سيطرته على المجتمع الحاضر هي المهمة المزدوجة للتاريخ>>.[3]

---

[1]) كولينغوود: فكرة التاريخ، تر. بكير خليل، مراجعة محمد عبد الواحد خلاف، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر، 1961، ص. 377، 179.
[2]) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، ط.3، 1989، دار المعرفة الجامعية، ص. 33.
[3]) إدوارد كار: تر. ماهر كيالي، بيار عقل، ما هو التاريخ، ط.2، بيروت، 1989 ص. 60.

و ليس بعيدا عن هذا الهدف يذهب المؤرخون المعاصرون الممثلون للنزعة التاريخية، فنجد (كروتشه) انتقد الأسس التي تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التاريخية لا يجعل التاريخ سوى مجرد سرد حيث الاهتمام بمجرد التحليل و التصنيف دون بحث عما وراء القصص لا يعد تاريخا و إنما هو مجرد تسجيل للوقائع الماضية الميتة.

إن التاريخ الذي يقف عن مجرد الوصف أو السرد فحسب بلا روح، فإن نفخ فيه من روحه فقد بعث الحياة في الماضي الميت و من ثم فإن كل التاريخ هو تاريخ معاصر.[1] و ليس بعيدا عن هذا الهدف يذهب (كولينغوود) على الرغم من كونه يرى أن هدف التاريخ هو أشق الأسئلة بالنسبة إليه ذلك أنه لا يريد الاكتفاء أو الاقتصار على الأسس التي يقوم عليها التفكير التاريخي، بل يقترح تجاوزها و كذلك فإن الإجابة عند (كولينغوود) هي أن هدف التاريخ يتمثل في معرفة الإنسان بنفسه بمعنى أنها لا تقف عند مجرد معرفة، بمميزاته الشخصية التي تفرق بينه و بين إنسان آخر و إنما تعني أن يعرف طبيعته كإنسان، أي أن المعرفة بالنفس هي أولا أن يعرف ما يراد بكلمة إنسان ثم أن يعرف المراد من أنه هو هذا الإنسان بالذات و أخيرا أن يعرف أنه هو الإنسان الذي تصدق عليه هذه القضايا أو الخصائص و لا تصدق على إنسان آخر غيره، و معرفة الإنسان بنفسه في نظره معناها ما يستطيع أن يفعل.

و مما تقدم ذكره يتضح جليا أن مفهوم التاريخ مرتبط مرات عديدة عبر التاريخ، ترتبت عنها نظريات مختلفة سواء في مجال المعرفة التاريخية أو في المنهج التاريخي.[2]

[1]) أحمد محمود صبحي : نفس المرجع، ص. 35.
[2]) كولينغوود: المرجع السابق، ص. 43، 44.

2) الدراسات التاريخية عند الإغريق القدامى و المسلمين:

المبحث الأول: الدراسات التاريخية عند الإغريق القدامى.

إن اهتمام المؤرخين بطبيعة المنهج التاريخي قديما و حديثا لم يخرج عن إطار فكرة التاريخ، و بدأوا يبحثون عن معنى التاريخ و كيفية كتابته منذ القديم، و كان ذلك بالخصوص عند الإغريق القدامى . أما بالنسبة للطابع الذي كان يميز هذه الفترة سنعقبه بالشرح و التفصيل التالي:

1) المرحلة الابتدائية لكتابة التاريخ قديما:

إن الاهتمامات التي شغلت ذهن الإنسان منذ وجوده هو ضمان استمرارية هذا الوجود عبر الزمان عن طريق تخليفه آثارا دائمة تفسر الحاضر الذي يعيشه، و كما أشارت الدراسات أن الكتابات الأولى للإنسان نقلت إلينا عن طريق<< الأسطورة >> حوادث تضيع أصولها بعيدا في غياب الزمن مما يثبت أنه قبل اختراع الكتابة نقل الإنسان شفهيا من جيل إلى جيل بعض ما عرف عن الماضي، بل إن ما سجله من صور على الصخر و في الكهوف كان جزءا من قصة حياته.[1] و عندما خرج الإنسان من حقبة ما قبل التاريخ و ذلك بفضل اختراع الكتابة الذي أتاح إمكانية الحفاظ على دروس الماضي و تجاربه، فإنه لم يطلب من تلك الدروس معرفة موضوعية أو مجردة و إنما هو تسجيل فقط للحوادث المعاشة أو الخرافية التي رأى بأنها هامة و أساسية في حياته.[2] نجد فلاسفة يحكمون أو يميزون بين ما هو تاريخي و بين ما هو ليس تاريخي، فنجد مثلا (كولينغوود) الذي يقول أن كل ما هو تاريخي هو إجابة عن أسئلة وليدة البحث، فعند تعرضه لتاريخ الحكومة الدينية و القصص الخرافي توصل إلى أنه بالرغم من قوله أنه تاريخ إلا أن في حقيقته هو شبيه فقط بالتاريخ و السبب في ذلك هو تعبيره عن الوثيقة و يشبهها بالتاريخ لما تحمله من بيانات عن الماضي و لكنها تختلف عنها من عدة وجوه مثلا: أن هذه البيانات ليست أجوبة وليدة البحث و لكنها مجرد أقوال، و ثانيا هذه الأفعال التي سجلت ليست من قبل جهود الإنسان و لكنها من طرف إلهية، و كما أنه هناك نوع آخر أيضا يشبه التاريخ و هو الأساطير و بالرغم من أنها تاريخ ديني و أساطير تمثل مادة شبه تاريخية، فهي على العكس من قصص الخرافة التي لا تعرض لأعمال البشرية إطلاقا التاريخ الديني و إن كان في الأصل لا يعرض لأفعال الإنسان.

---

[1]) CH. OMAN. ON THE WRITING OF THE HISTORY- LONDON, 1939, p.2

[2]) ليلى الصباغ: دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط.1، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، سوريا، 1979 _ 1980 ص. 14.

و الأساطير تصور الحكام الروحانيين في المجتمع الإنساني و قصص الخرافة تخلو من عاملين هما عامل الزمن و الفعل الإنساني، لأن أبطال القصص الخرافية كلهم من الآلهة في حين أن الأعمال المقدسة التي تسجلها هذه القصص ليست من قبل الأحداث التي سجلت في تاريخ ماض، و التاريخ الديني كما قلنا و الأساطير سيطرا على تفكير الشرق الأوسط كله حتى الوقت الذي ظهر فيه اليونان و لهذا هناك العديد من المؤرخين يقترون التاريخ بالقصص و الأساطير.[1]

2) نشأة التاريخ العلمي على يد (هيرودوت):

يرى معظم الباحثين أن المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت أشتهر باللقب أن أطلق عليه " أبو التاريخ " وقد دون تاريخه الشهير وكان موضوعه الرئيسي أخبار الحروب اليونانية الفارسية بالإضافة إلى هذا الموضوع الرئيسي ذكر هيرودوت في كتابه معلومات كثيرة وشيقة عن الأمم الأخرى ويقول أنه هناك ثلاث أسماء لامعة في الحضارة اليونانية تتجسد في إنتاجها الخصائص الهامة للبحث التاريخي أيام اليونان.

ولا ننسى أن هناك مؤرخون سبقوا هيرودوت أمثال: (هيكاته المليتي) كما كان هناك " رواة الأساطير" الذين أدخلوا للإنسان الأعمال التي كانت تستند للآلهة والأبطال، ولكن هيرودوت كان أول من ترك ميدان الأساطير والأوهام المدونة ليلتفت للزمن الواقعي والمشخص والقريب منه، فقد كرس جهده في البحث في الحروب وعواملها وجاء (ثيوسيديدس) ليفعل مثله، وما قدمه هيرودوت ليس كله دراسة نقدية علمية محضة ولكن مهما كان ما أتى به بسيطا وساذجا فإن هناك محاولة لديه للتفسير والتعليل العلميين.

ولقد جرب (هيرودوت) أن يبحث عن الأسباب التي دفعت الإغريق والفرس إلى التحارب وأدرك أهمية الوسط الجغرافي في مجرى التاريخ و حتى يمكن القول بأنه كان مؤرخا في محاولاته لإعادة بناء حقيقة الأحداث الماضية كما عشيت في الماضي وفي توجيه الاستناد إلى مصادر موثوقة في الشك القائم وفي الحقيقة ما يذكره بعض الدارسين أن تاريخ (هيرودوت) مدموغ بشخصيته.[2]

[1]) كولينغوود: المرجع السابق، ص. 51، 53.
[2]) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص. 16، 17.

يقول أن الكتابات التاريخية ل (هيرودوت) كانت من قبل الأساطير، أساطير حكومة الآلهة أو حكومة السماء التي تتدخل في أعمال الإنسان ونجد عند (هيرودوت) أن كلمة تاريخ تعني بحث واستقصاء واتخذها عنوانا لكتابه الذي استحدث به ثورة في التأليف وهذا ما جعله إمام التاريخ في نظر العديد من المؤرخين لأنه عمد إلى تحويل الأساطير إلى تاريخ " علمي " وهذا لم يكن مألوفا عند العقلية الإغريقية بالإضافة إلى إنتاجه الذي نظر إلى التاريخ كدراسة اجتماعية تتميز عن دراسة الأساطير وحكومات تستند إلى سلطات السماء على نحو ما قاله في مقدمته << من أن هدفه هو وصف أعمال الرجال >> وأكد على أن التاريخ يقصد به بروز الجانب العقلي الذي سيطر على نشاط الإنسان، بمعنى أن التاريخ يكشف عن أعمال الإنسان وعن السبب الذي من أجله أقدم على هذه الجهود ولأن (هيرودوت) لا يقف عند مجرد التفكير في الأحداث وإنما يخضع دراسة هذه الأحداث للتقدير الإنساني.[1]

المبحث الثاني: الدراسات التاريخية عند المسلمين:

1) كيفية كتابة التاريخ عند المسلمين قبل ابن خلدون:

في أوائل عهد الإسلام شغل المسلمون بالفتوح و الحروب وخاصة الغزوات التي كانوا يقومون بها حتى توطدت مكانة الإسلام و رست قواعده وعلت مكانته و قامت مراكز علمية هامة في مختلف الأمصار الإسلامية فهنا بدأ المسلمون يتجهون إلى إثبات الأخبار و تسجيل الأحداث فنجد مثلا و أولا القرآن الكريم فهو كتاب الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و فيه شيء من أخبار العرب قبل الإسلام، و على الرغم من الكشوف الأثرية قد بدأت صحة ما جاء في الكتب المقدسة و لاسيما كما قلنا القرآن الكريم إلى عبرة أخلاقية فضلا على أن بعض أخبارها لا يزال غير واضح و ينقصه التحديد الزّماني، الأحاديث تتصل اتصالا وثيقا بنشأة التاريخ عند المسلمين بعد القرآن و تعني كلمة " حديث " في الأصل " الخبرة " في البداية كان الصحابة الذين عاشوا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) خير مصدر للمعلومات عن الحديث عن الصحابة و قد كان علم التاريخ عند المسلمين في البداية وثيق الصلة برواية الحديث و تفسير القرآن الكريم و نجد من بين أهم المؤرخين الذين حازوا شهرة واسعة في القرن 2 للهجرة،

[1]) كولينغوود: نفس المرجع ، ص. 58، 59.

(محمد عبد الواقدي) و نجد أيضا (الواقدي) أعلى منزلة إذا فمن هنا كانت الكتابات الأولى للمسلمين في تدوين التاريخ فكان القرآن أهم و أفضل طريقة لتحصيل التاريخ.[1]

2) مجيء ابن خلدون و نقده لمنهجية كتابة التاريخ:

عاش ابن خلدون في نهاية العصور الوسطى و بداية عصر النهضة و كان أهم من أرخ للحضارة الإسلامية حتى عرف عند المؤرخين بأنه واضع أساس علم التاريخ، بينما نرى غيره اتجه إلى سرد الأحداث التاريخية و التأريخ للشخصيات، و ابن خلدون وضع لكتابة التاريخ منهجا جديدا في نقد الحقائق و تعليلها و يجعل المجتمع و تكوينه و نظمه و تطوره موضوعا للدراسة العميقة و التفكير الحر. و لقد بلغت الكتابة التاريخية ذروتها بمقدمة ابن خلدون، ففي هذه الاخيرة تطرق العلامة ابن خلدون الى منهجية كتابة التاريخ عند المسلمين مبينا الاخطاء التي وقعوا فيها.[2]

فكما قلنا سلفا فانه قد عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، و هذه الفترة حدثت فيها تغيرات تاريخية هائلة في الناحيتين السياسية و الفكرية معا أين كانت حركة النهضة في اوروبا في تطور مستمر، عكس الدولة الإسلامية التي كانت في فترة تدهور و انحدار من سقوط الخلافة العباسية و سقوط أهم الحضارات الأندلسية و هذا يعني بدأ انقسام الدول، و في قيام دول أو إمارات صغيرة جدا في هذه الدول و خارجها حتى على يد بعض الخوارج.[3]

كما قلنا أن ابن خلدون مؤرخ له حس مرهف نحو قيمة المصدر التاريخي و كان اهتمامه نحو الورقة الرسمية أو المستند الرسمي، بمعنى " الوثيقة " التي تعتبر من أهم مصادر التاريخ بسبب أنها المادة الخام أو المنبع المباشر، و لقد أدرك أيضا أهمية دراسة العوامل الجغرافية من أجل معرفة تأثيراتها على مسار التاريخ، و إلى جانب التركيز على العوامل الاقتصادية و مسؤوليتها عن الأحداث التاريخية، نجده يسمى تاريخه الكبير " كتاب العبر " و ذلك بأن يفهم المجتمع و يبين لنا كيف كان التاريخ يكتب عبر هذه الفترة الماضية و هل كانت صحيحة أم أن فيها شيء من الخطأ.[4]

---

[1]) محمود محمد الحويدي: المرجع السابق، ص. 112، 121.
[2]) محمود محمد الحويدي: نفس المرجع، ص، 124.
[3]) زينب محمود الخضيري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، بيروت، لبنان، 2006 ، ص. 17.
[4]) محمود محمد الحويدي: المرجع السابق، ص. 125.

و باعتبار التاريخ عنده فرعا من فروع الفلسفة يرى بأن موضوعه هو الحياة الاجتماعية و كل ما يعرض فيها من حضارة مادية و عقلية.[1]

لقد انتقد ابن خلدون في كتابه الشهير المقدمة كيفية كتابة التاريخ عند المسلمين و السبب في ذلك يعود إلى المؤرخين الذين يرتكبون أغلاطا في نقلهم للأحداث التاريخية و هنا جاء لينقد هذه الطريقة و يستخف بآراء هؤلاء المؤرخين و ما نقلوه من أخبار لا يقبلها العقل و ذلك يعود إلى عدة أسباب و من بينها عدم التزام المؤرخين بالدقة و الموضوعية فمثلا يكون راوي الخبر المباشر أو الذين توسطوا في نقله قد لا يلتزمون بالدقة في نقل هذا الخبر، و أن الدواعي التي تدعو إلى ذلك متنوعة منها كما يقول ابن خلدون << التشيعات للآراء و المذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته دقة من التمحيص و النظر حتى تتبين صدقه من كذبه، و إذا خمارها تشيع لرأي أو نحلة قلبت ما يوافقها من الخبر لأول وهلة >>.[2]

و نذكر السبب الثاني و هو عدم مراعاة القوانين التي تجتمع لها الظواهر الطبيعية المحتملة، فيقول ابن خلدون كثيرا ما يعرض للسامعين هو قبول الأخبار المستحيلة و نقلها كلها كما يؤثر عن بعض المؤرخين أنهم لا يراعون أو أنهم يكثرون في حكايات و أحاديث خرافية مستحيلة، و يقول أيضا ابن خلدون أن تلك الأحوال التي تحدث عنها المؤرخون و وصفوها إنما مستحيلة و منافية لأمور الطبيعة في بناء المدن.[3]

[1]) جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، د. ط، 1981، ص. 570.
[2]) ابن خلدون: المرجع السابق، ص. 20.
[3]) عبد الرحمن ابن خلدون: نفس المرجع، ص. 22_49.

و لم يكتف بذلك و انتقل أيضا إلى إيضاح أهم الأسباب التي وقع فيها المؤرخون أو الأخطاء التي وقعوا فيها و هي الجهل بطبائع الأحوال في العمران و يقصد بها هو جهلهم بطبيعة الظواهر الاجتماعية و حتى كيفية حدوثها، و يقول أن تمحيص الخبر و تمييز صدقه ضروري و هذا الأخير في نظر ابن خلدون هو المؤدي إلى تعديل أو العلم بأن الخبر ممكن أو ممتنع، و يجب التعديل حتى نتوصل إلى الدقة في معرفة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها، و بدأ ابن خلدون ينتقد هؤلاء المؤرخين و كيفية كتابتهم أو نقلهم للتاريخ و السبب في ذلك يكمن في ان هؤلاء لم يدرسوا المجتمعات و ما يسودها من قوانين و خرجوا عن هذا النطاق و لكن يقول بأن أفضل حل هو تمحيص الخبر و ذلك بمعرفة طبائع العمران لأنه أحسن الوجوه و أوثقها في تمحيص الخبر و تمييز صدقها من كذبها حتى يمكن معرفة فيما اذا كان ذلك الخبر ممكن أو ممتنع، و يجب أيضا دراسة المجتمع حتى يتوصل إلى استخلاص القوانين و بالتالي فعلم الاجتماع أصبح متلازما مع علم التاريخ.

و قلنا مما سبق أن ابن خلدون قام بنقد المؤرخين و ذلك بإلحاحه و إصراره على الأخذ بطريقة التعديل و التجريح التي يستخدمها علماء التفسير و ناقلي الحديث للتأكد من التحاق الحديث بالعدالة و بالضبط، و لا يكتفي بسرد القواعد العامة بل يبقيها على بعض الأخبار حتى يستعرض سلسلة من الروايات و الأخبار المتنوعة من الأزمنة الماضية و لأن التاريخ في حقيقته ليس وصف ظاهري كما توهمه الكثير من الناس فهو في حقيقته و باطنه نظر و تحقيق و تعليل للكائنات و مبادئها دقيق، و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق، فهو بذلك أصيل في الحكمة، عريق و جدير بان يدرج ضمن العلوم التي تهتم بالانسان. إذن فكما قلنا سابقا أن ابن خلدون حاول أن يعطي المنهجية الصحيحة لكتابة و تدوين التاريخ و ذلك يظهر حينما بدأ في عرضه للأخطاء التي وقع فيها المؤرخون لتدوينهم و كيفية دراستهم للتاريخ و الأغاليط التي وقعوا فيها لأنهم لم يتبعوا أهم عامل في دراسة التاريخ كما قال ابن خلدون ألا و هو الدقة خاصة في الدراسة العلمية لمنهجية التاريخ.[1]

[1]) عبد الرحمن ابن خلدون: المرجع السابق، ص. 70.

2) الفصل الثالث: الدراسات التاريخية في عصر النهضة الأوروبية.

عرفت أوربا منذ القرن 14 نهضة فكرية مست جوانب معرفية عديدة: بعث الآداب القديمة، الإصلاح الديني و نشأة العلوم الطبيعية.[1] و لعل أهم ما يتميز التفكير التاريخي أن ذاك هو إعادة الاعتبار لأعمال الإنسان بعدما كان كل شيء يسير وفقا لمشيئة مقدسة مرسومة تسيطر على الأحداث في العصور الوسطى.

المبحث الأول: المفكرين الذين كانوا وراء قيام النهضة الأوروبية.

من أهم الشخصيات التي ظهرت في أوروبا و ألقت بتأثيرها على إحداث نهضة علمية جديدة و منها أساليب تدوين التاريخ نجد:

1)فرانسيس بيكون (1561_ 1626): المفكر الإنجليزي الشهير الذي يمكن عده أول من وضع في أوروبا منهج البحث العلمي و ذلك في كتابه الشهير " الأرغانون الجديد* "<< و الذي قسمه قسمين: قسم انتقد فيه الأطر السابقة للعلم و الفلسفة و أكد على أن الفلسفة (أي فلسفة أرسطو و أتباعه من المدرسين) فشلت ذلك لأنها كانت تهتم بالمعرفة لذاتها و كان الشغل الشاغل للفلسفة هو إفحام الخصوم و العمل على التفوق عليه في المناظرة و الجدل أما القسم الثاني فقد خصصه لعرض آرائه الجديدة في المنهج الجديد الذي ينبغي إتباعه إذا ما أردنا أن نحقق منفعة من البحث و المعرفة.>>[2]

و في هذا الإطار نشير إلى أن (بيكون) يعتبر أن الهدف من المعرفة هدف نفعي، إنه السيطرة على الطبيعة، و إخضاعها لأغراضنا العملية و لا يتحقق ذلك في نظر (بيكون) إلا عن طريق تطبيق المنهج الاستقرائي الذي يبدأ من المعرفة الحسية التي يقوم العقل بتمحيصها مستعينا بذلك بالذاكرة.

---

[1]) أحمد أمين، نجيب محمود زكي: قصة الفلسفة الحديثة، ط.6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1983، ص. 26.

*) Organon بالإنجليزية و الفرنسية، organunباللاتينية و تعني الآلة، و قد أطلق على منطق أرسطو منذ القرن 6، لأنه آلة العلم أي العلم يجب أن يعلم قبل أي علم آخر لأنه وسيلة له و لفظة آلة في الفلسفة تعني وسيلة أو واسطة تماما كما أن المنشار آلة النجار بمعنى وسيلة في قطع الأخشاب.

[2])مصطفى النشار: مدخل إلى الفلسفة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، مصر، 2005، ص. 109، 110.

لقد شبه (بيكون) العقل الإنساني بالمرآة حيث << لا تقوم بوظيفتها كاملة إلا إذا تم صقلها صقلا تاما حتى تزول منها جميع الأوساخ و توجيهها التوجيه الصحيح نحو النور ثم بعد ذلك نضع أمامها الشيء الذي نريد رؤيته فيها.[1]>> فكذلك الأمر بالنسبة للعقل، إذ ينبغي أولا أن يبدأ الإنسان بتطهير عقله مما يحذق به من أوهام تعوق التفكير السليم حتى يمكن العقل أن يتوجه نحو المعرفة الصحيحة. ثم بعد ذلك يمكن للعقل أن يصل بصاحبه إلى هذه المعرفة الصحيحة بالفعل.

وهذه الأوهام حددها في أربعة أصناف:[2]

_ أوهام الجنس البشري: وهي الأخطاء التي يقع فيها كل أفراد الجنس البشري بحكم طبيعة البشر المتسرعة، كافتراض أن في الأشياء قدرا من النظام و الاتساق يزيد على ما يبدو منه فعلا حتى و إن كانت أمثلة كثيرة تناقض هذا الغرض.

_ أوهام الكهف: وهي الأخطاء التي نقع فيها بحكم اختلاف طبائعها الفردية. فلكل منا كما يقول (بيكون) كهفه الخاص به. و الذي قد يظل سجينا فيه فيحكم على الأشياء من منطلقه هو فيقع في الخطأ.

_ أوهام السوق: و المقصود بها تلك الأخطاء التي تترتب على اتصال الناس و اجتماعاتهم بعضهم ببعض ففي رأي (بيكون) أن الناس في تبادلهم للأفكار عن طريق الألفاظ اللغوية يتوهمون أن عقولهمهي التي تتحكم في الألفاظ بينما العكس هو الذي يحدث في أحيان كثيرة.

لذلك يجب على العلماء أن يراعوا الدقة في الألفاظ التي يستخدمونها. بمعنى أن يستخدموا ألفاظا تعبر عن واقع الأشياء بسهولة و يسر.

[1]) مصطفى النشار: المرجع السابق، ص. 110.

[2]) فرانسيس بيكون: الأرغانون الجديد، ترجمة، عادل مصطفى، رؤية للنشر و التوزيع، 2013، ص. 28.

ـ **أوهام المسرح:** وهي الأخطاء التي يقع فيهاالناس نتيجة تأثرهم الشديد بآراء المشاهير من العلماء والفلاسفة السابقين، سواء لما في هذه الآراء من منطق محكم لا يستطيعون الفكاك منه، أو لما يكنه الناس من احترام شديد لهؤلاء المشاهير وذلك دون أي مناقشة أو نقد.[1]

يقول بيكون: << ثمة أربعة أنواع من الأوهام تحدق بالعقل البشري...وكلها أوهام ينبغي التخلي عنها وتطهير العقل و تحريره منها، حتى لا يبقى ثمة إلا مدخل واحد إلى مملكة الإنسان، المدخل القائم على العلوم، مثلما أنه لا مدخل إلى مملكة السماء إلا عبر طهارة الطفولة[2]>>.

انعكس هذا على العلوم الإنسانية و أخصها ما نحن بصدده الآن بمعنى علم التاريخ، ويمكن حصر جوانب الانعكاس فيما يأتي:

1 ـ منهج العلم: جمع أكبر عدد ممكن من الوقائع التاريخية بهدف الوصول إلى أحكام كلية على غرار ما هو حاصل في العلوم الطبيعية.

2 ـ غاية العلم: وهي غاية برجماتية "عملية " في الطبيعة، تسخير الطبيعة لصالح الإنسان، أما في التاريخ فالهدف تزويد الإنسان لأحكام تمكنه من أن يفهم معنى الأحداث الحاضرة في ضوء خبرته بالماضي بل وإلقاء الضوء على المستقبل.[3]

[1]) مصطفى النشار: المرجع السابق، ص. 112.
[2]) فرانسيس بيكون: المرجع السابق، ص. 28- 58.
[3]) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1975 ص. 12.

3 ـ استقلال العلم عن الدين: لم تصبح غاية العلم خدمة أغراض اللاهوت وقد انعكس ذلك أيضا على التاريخ، فاستبعد المؤرخون النظرة " الأخروية " التي تجعل غاية التاريخ خارج نطاق العالم و إنما في العالم الآخر، لقد أصبح هدف مسار التاريخ في نطاق العالم الحاضر، كما أصبح التاريخ ممثلا لأفعال الإنسان، لا لأية قوة غيبية، بل انعكست ريادة (بيكون) للفلسفة الطبيعية إلى أبعد من ذلك في التاريخ، فقد قدم (فيكو)" أوهاما " يقع فيها المؤرخون كما سيأتي ذلك لاحقا، على غرار ما تحدث عنه (بيكون) من أوهام بالنسبة للفلسفة الطبيعية، وهذا يعني أن فكرة التحرر من الأوهام قد لقيت صدى عند من أراد أن يلعب في دراسة التاريخ دور (بيكون) في الفلسفة الطبيعية.[1]

[1]) أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص. 13.

2) رونيه ديكارت: في الوقت الذي كان فيه (بيكون) في إنجلترا يحدد ملامح المنهج الاستقرائي الجديد الذي يفضله لتقدم العلوم، كان(ديكارت) في فرنسا وأثناء تنقلاته في مختلف بلاد أوروبا يحاول في تأملاته الفلسفية تحديد ملامح منهج عقلي جديد يكون فاصلا بين عصرين من عصور الفكر الفلسفي.

وقد نجح(ديكارت) في الوصول إلى هذا المنهج العقلي الجديد وصياغته في كتابه الشهير:"مقال في المنهج[1]" والذي أكد فيه على يقين الرياضيات ورفعها على سائر العلوم، ذلك لأن قضاياها واضحة، متميزة،وما يعنينا هنا هو موقف (ديكارت) من التاريخ.

قلنا أن (ديكارت) رفع الرياضيات على سائر العلوم وذلك لوضوح قضاياها وتميزها وبالتالي فمن الطبيعي أن تكون نظرته إلى التاريخ نظرة يسودها الشك واللايقين. حيث نجده يحكم عن الروايات التاريخية وقيمتها بقوله:<< القصص تجعلنا نتخيل كثيرا من الحوادث كما لو أنها ممكنة وهي ليست ممكنة وحتى أن الروايات الصحيحة إذا لم تغير وتبالغ في الرفع عن قيمة الأشياء لكي تجعلها جديرة بأن تقرأ، فهي على الأقل تهمل دوما الحوادث التافهة والأقل شهرة، هذا ما يجعل الباقي منها لا يمثل الواقع >>.[2]

ومن خلال هذا النص نستخلص أن (ديكارت) لا ينكر وجود المعرفة التاريخية إلا أنه يشك في قيمتها المعرفية وبالتالي يستبعد اليقين من المعرفة التاريخية.

[1]) مصطفى النشار: المرجع السابق، ص. 115.

[2]) رونيه ديكارت: مقال في المنهج، ترجمة، محمود محمد الخضيري، مراجعة، محمد مصطفى حلمي، ط.2، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، 1968، ص. 115.

المبحث الثاني: ظهور الاتجاه النقدي في التاريخ: (فيكو):

1 ـ فيكو وانتقاداته لكل من ديكارت والمؤرخين السابقين:

إن المؤرخ والفيلسوف الإيطالي (جيوفاني باتيستا فيكو: 1686 ـ 1744) يعتبر رائدا في التصدي لموقف (ديكارت) من التاريخ، فقد نصب نفسه لوضع الأسس التي يقوم عليها منهاج البحث التاريخي أسوة بما فعل (بيكون) في وضع الأسس لمنهاج البحث العلمي متحديا بذلك مدرسة (ديكارت) الفلسفية بما تضمنته من كفر بألوان أخرى من المعرفة خارج المعرفة الرياضية.

هاجم (فيكو) الأسس الثلاثة التي استند إليها (ديكارت):

أولا: الكوجيتو الديكارتي الشهير الذي يستند إلى الوعي الذاتي كمبدأ أول لليقين، فالكوجيتو في رأي (فيكو) لا يلغي الشك ولا يقدم أساسا للعلم، لأن الشاك يكون على يقين كاف من تفكيره و وجوده معا. ولكن يقينه هو يقين الشعور البسيط لا يقين العلم. إن الكوجيتو كما يرى (فيكو) يترك الأمر على هذا الحال غير أن معيار الحقيقة هو صنعها لأن ما نعرفه ونحن على يقين منه هو ما نفعله. فالفعل الإنساني لا الوعي الذاتي هو معيار الحقيقة في علم التاريخ وليست الأفكار الواضحة المتميزة للعقل كما رأى (ديكارت). ولهذا فإن الفكرة الواضحة المتميزة لا تصلح لأن تكون معيارا لحقائق أخرى، بل تصلح أيضا في رأي (فيكو) أن تكون معيارا لحقيقة العقل نفسه، ذلك أن العقل عندما يتأمل أو يفهم نفسه لا يصنع نفسه ولأنه لا يصنع نفسه فهو يجهل الشكل أو الأسلوب الذي يفهم به نفسه.[1]

[1]) عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1997، ص. 34.

ثانيا: انتقد (فيكو) كذلك الأدلة العقلية المزعومة على وجود الله ولعله في ذلك قد سبق (كانط) في هجومه على الميتافيزيقا التأملية الدوجماطيقية التي تزعم أنها تثبت وجود الله بأدلة عقلية بحته ويكفي أن تقرأ هذه العبارة ل (فيكو) في الحكمة الإيطالية القديمة: << إن الذين يحاولون أن يثبتوا وجود لله بصورة قبلية، يرتكبون إثم الفضول البعيد عن التقوى والورع، لأن من يفعل ذلك يجعل من نفسه إلها يصدر حكمه على الله وبذلك ينكر الوجود الإلهي الذي كان يبحث عنه >>.[1]

ثالثا: اليقين الرياضي كمعيار للوضوح والبداهة وبالتالي كمعيار للحقيقة، لم يطعن (فيكو) في صدق المعرفة الرياضية وإنما طعن في نظرية (ديكارت) للمعرفة بما تضمنته من إنكار ألوان أخرى من المعرفة. لذلك طعن في مبدأ (ديكارت) القائل بأن مقياس صدق المعرفةهو الفكرة الواضحة المتميزة. و زعم أن هذا المقياس هو مقياس ذاتي سيكولوجي، فإن ظهر لي أن أفكاري واضحة ففي هذا دليل تصديقي لها.ويرى (فيكو) أن أية فكرة مهما تكن خطأ قد تكون باعثة على اقتناعنا بها ما دامت واضحة كل الوضوح في حين أنها لا تعد وأن تكون من قبيل الخرافة التي لا أساس لها.[2]

[1]) عطيات أبو السعود: المرجع السابق، ص. 34.
[2]) عطيات أبو السعود، المرجع نفسه، ص. 35.

ويخلص (فيكو) من نقده لنظرية المعرفة الديكارتية إلى أن دراسة التاريخ تختلف عن دراسة الرياضيات والطبيعة، فالفلسفة الديكارتية تقف عقبة في سبيل البحث التاريخي نظرا لإغفال (ديكارت) دور التجربة والقول بفطرية الأفكار الواضحة ما يعزلنا عن الواقع: فكيف نطبق ذلك على التاريخ؟، هل نتصور أفكارا ثم نزعم أن هكذا كان مجرى التاريخ؟.[1]

على أن موقف (فيكو) من العلوم الطبيعية لم يكن كموقفه من الرياضيات إذ أن التاريخ ليس بعيدا كل البعد عن العلوم الطبيعية. ونتيجة لتأثره بفلسفة (بيكون) الطبيعية، دفعه ذلك إلى تحديد أربعة أوهام يقع فيها المؤرخين وهي كالآتي:

1 ـوهم التهويل والتفخيم: لما تمجد الأمة ماضيها مبرزة جوانب المجد والقوة والثراء، إن قيمة كل فترة تاريخية ليست بمقدار ما تم فيها من إنجازات وإنما حسب الدور الذي لعبته في المسار العام للتاريخ، ويقابل هذا الوهم ما أشار إليه (بيكون) من وهم القبيلة.

2 ـ وهم الثقافة الأكاديمية: لما يتصور المؤرخ نظرا لأنه متعلم مثقف أن شخصيات التاريخما دامت لعبت دورا بارزا في أحداثه وتحكمت في مصائر شعوبه فإنها لا بد أن تكون على درجة من الثقافة والعلم.[2]

[1]) عطيات أبو السعود: المرجع السابق، ص. 35.
[2]) أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص. 156.

3 ـ أوهام المصادر أو" التأثر والتأثير":حيث يرى المؤرخ تشابه نظامين فيحكم أنه لا بد أن يكون أحدهما قد تأثر واقتبس من الآخر وما في ذلك منإنكار للطاقة الإبداعية للعقل الإنساني.

4 ـ وهم الاقتراب: حيث يعتقد المؤرخ أن السابقين أكثر علما منا بالنسبة للعصور القريبة العهد بعصرهم. يرجع هذا الوهم إلى تصور التاريخ كذاكرة الإنسان كلما كان موضوع التذكر أقرب عهدا كان أكثر في الذاكرة ثباتا ووضوحا.[1]

وكما انتقد (فيكو) كذلك فلاسفة السياسة في القرن 17 أمثال (جروتيس) و (هوبز) في نقطتين أساسيتين:

الأولى: إنهم فسروا الماضي من أجل أهدافهم ومصالحهم فهم لا يدرسون الماضي لذاته وإنما من أجل نظريات سياسية تتعلق بحاضرهم.

الثانية:افتقارهم الحاسة التاريخية حيث تصوروا المجتمع " ستاتيكيا " ثابتا كما لو كان لا يتغير من عصر إلى آخر، لقد افترضوا وحدة الطبيعة البشرية في كل زمان ومكان وترتب على ذلك أن فرضت على الوقائع التاريخية صورة زائفة ممسوخة.

لقد فرضوا على مشاعر وتفكير البدائيين أفكارا فلسفية مسبقة ومن ثم جاء بحثهم في قيام المجتمع ونشأة الدولة تحكميا تعسفيا لا نتيجة دراسة تاريخية.[2]

[1]) أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص. 157.
[2]) أحمد محمود صبحي: المرجع نفسه، ص. 158.

إنه المنهج التكويني التاريخي لا التركيبي الفلسفي هو اللازم لتتبع تطور الجماعات وذلك ليتسنى لنا تتبع المجتمعات من حيث بدأت وكيف تشكلت وعلى أي نحو تطورت وحينما نتبع هذا المنهج ونتحرر من الأفكار الفلسفية عن تكوين المجتمعات فإن مجال البحث التاريخي يتخذ وجهة نظر جديدة ذات مضامين منهجية عميقة ينفرد بها التاريخ.

على أن انتقاده لفلسفة السياسة لا يعني استبعاده للنظر الفلسفي بوجه عام، فقد أفاد من الفلسفة نزعتها الكلية الشمولية. فالمظاهرالمختلفة للحياة الاجتماعية في مرحلة من مراحل التاريخ إنما تتداخل وتتشابك وتشكل نموذجا مترابطا ترابطا باطنيا ومن ثم ينبغي دراستها بنظرة فلسفية ككل.[1]

2ـ مبادئ العلم الجديد:

الفكرة الرئيسية في فلسفة (فيكو) هي أن العالم التاريخي من صنع البشر بمعنى أن التاريخ ليس من صنع القدر.وما دام الإنسان هو صانع التاريخ فلا بد أن تكون هناك تنظيمات أساسية وافق عليها كل البشر، ومن هذه التنظيمات سنخرج المبادئ العامة الخالدة التي وجدت في كل الشعوب.

هذه المبادئ الأساسية يراها (فيكو) تتلخص في ثلاثة:

ـ الدين: أينما وجدت الأديان وجدت التشريعات و القوانين التي تنظم المجتمع البشري.

ـالزواج وما يرتبط به من تحكم في الانفعالات.

ـ دفن الموتى وما يرتبط به من خلود الروح: حيث هناك اعتقاد ساد سائر الأمم وهو أن أرواح الموتى الذين لم يتم دفنهم قلقة هائمة حول أجسادهم فالأرواح إذن لا تموت بموت الأجساد لذلك ارتبط مبدأ دفن الموتى بخلود الروح البشرية و أصبح تعبيرا عن وحدة الجنس البشري.

هذه العادات الثلاثة اتخذها (فيكو) مبادئ أساسية لعلمه الجديد و اعتبرها الأصل في الحس المشترك بين الشعوب. ولذلك ارتفعت في نظره إلى مرتبة القداسة لأنها تعصم الشعوب من الارتداد إلى حالة التوحش.[2]

[1]) نقلا عن محمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص، 158.

[2]) عطيات أبو السعود، المرجع السابق، ص. 79- 80.

3 – المنهج:

يؤكد الباحثون أن أهمية (فيكو) ترجع إلى المنهج أكثر مما ترجع إلى المنهج، فقد حدد القواعد التي يجب إتباعها لدراسة أصول التنظيمات الاجتماعية البشرية.

و إذا كان قد عارض المنهج الرياضي (لديكارت) إلا أنه لم يرفضه لذاته، و إنما رفض تطبيقه في مجال التاريخ، و حدد منهج علم التاريخ بالنسبة لمنهجي الرياضيات و العلوم الطبيعية، و لم يكن تحديد (فيكو) لمنهج علم التاريخ أو موضوعه وليد نظرة نقدية لمناهج و موضوعات العلوم الأخرى فحسب، بل أسهمت عدة علوم في تشكيل نظرته إلى منهج علم التاريخ و موضوعه أهمها دراسته للغويات، فالاشتقاقات اللغوية تكشف عن أسلوب الحياة و التفكير لدى شعب ما، و التعرف على طريقة شعب ما أو أسلوب حياته يستلزم دراسة اللغة و تتبع التطور الذي طرأ عليها خلال عصور التاريخ، و لقد أفاد من الفلسفة نزعتها الكلية الشمولية، فالمظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية في مرحلة ما من مراحل التاريخ إنما تتداخل و تتشابك و تشكل نموذجا مترابطا باطنيا و من ثم ينبغي دراستها بنظرة فلسفية شمولية.[1]

و يعتمد (فيكو) في منهجه على مسلمته الأساسية: معنى ذلك أنه يجب أن يبدأ الموضوع من حيث تبدأ المادة التي يتناولها، و لهذا يجب أن نعود مع علماء اللغة و الفلاسفة إلى البدايات الأولى للإنسانية عندما كانت في حالة توحش أي يجب التوفيق بين فقه اللغة و الفلسفة.

[1]) عطيات أبو السعود، المرجع السابق، ص. 81.

لذلك يقيم منهجه على الأدلة الفلسفية و الأدلة اللغوية معا. و يبدأ بالأدلة الفلسفية ثم يتبعها بالأدلة اللغوية لتكون أدلة واقعية تؤيد الأدلة التي اهتدى إليها بالتأمل و التفكير. و تنقسم الأدلة الفلسفية إلى أدلة لاهوتية و أدلة منطقية. و يبدأ بالأولى فيؤكد ضرورة البدء من فكرة الإله التي لم يفتقر إليها الإنسان الوحشي الذي لم تكن هناك وسيلة للحد من توحشه أو ترويضه إلا فكرة الخوف من إله معين. هذه الفكرة تبين ان الإنسان سقط في اليأس و تطلع إلى قوة أعلى منه لتنقذه و لا توجد قوة أسمى من الطبيعة سوى الله، و لقد كان هذا هو النور الذي ألقته العناية الإلهية على جميع البشر، أي أن أفكار الإنسان الأول كانت مصحوبة بالاضطراب و الانفعال، و فكرة الألوهية هي التي أضفت على تفكيره الطابع الإنساني و حولت انفعالاته الحيوانية إلى أفكار بشرية.

لذلكيجب أن نبدأ من الميتافيزيقا الشعبية التي نجدها عند الشعراء القدامى لنجد كيف أن فكرة الألوهية كانت قوة دافعة لحرية الإرادة البشرية و مكنتها من التحكم في انفعالات الجسد و حركاته.[1]

إذا فالفكرة الأساسية التي تحدد منهج البحث عند (فيكو) و تجعل منه الرائد الحق للأبحاث التاريخية الحديثة تتمثل في ضرورة التوفيق بين فقه اللغة و بين الفلسفة.

[1]) عطيات أبو السعود، المرجع السابق، ص. 82.

أي أنه يبرهن بالمقابلة و الموازنة كما يقول (برييه) في كتابه " تاريخ الفلسفة على الأسانيد المستمدة من الأمم المختلفة " (من مصر و بلاد اليونان و روما على سبيل المثال) و وحدة قانون التطور في كل أمة من هذه الأمم، و يضيف (برييه) أنه إذا كان فلاسفة العقل لا يعترفون بشيء واحد بين البشر سوى العقل الذي يفترضون أنه مشترك بين الجميع و أن ما هو خيال و انفعالات فهو سبب الفرقة بين البشر، فإنهم ينقلون هذا العقل عن طريق الفكر إلى فجر البشرية لعجزهم عن تكوين فكرة عن الأشياء البعيدة و المجهولة. و من ثم يتصورونها على نمط الأشكال التي يعرفونها.

و قد حاول (فيكو) أن يقلب هذه الآراء معتمدا على فقه اللغة، و ذلك لكي يثبت أن بين البشر وحدة لا تقوم على العقل، بل أن هناك حسا مشتركا أو حكما بغير تأمل يمكن أن نجده عند كل الطبقات و كل الشعوب بل و الجنس البشري بأكمله، فالأفكار الواحدة تنشأ في نفس الوقت عند شعوب بأكملها يجهل بعضها البعض، و هناك قوانين واحدة أو مشتركة بين الأمم لا تنبع من العقل.

و يؤكد منهج العلم الجديد دور العناية الإلهية كحقيقة تاريخية. فتطور الإنسان و المجتمع يكشف عن منطق يعلو على الوعي و الرغبات الفردية. كما يؤكد وجود عقل مدبر هو العناية الإلهية، و هي في رأي (فيكو) لا تعمل بقوة القوانين و إنما تعمل من خلال عادات البشر و تقاليدهم.[1]

[1]) عطيات أبو السعود: المرجع السابق، ص. 82- 83.

فالبشر بحكم طبيعتهم الإنسانية يسعون دائما إلى مصلحتهم الخاصة، و عندما عرف الإنسان الزواج حرص على مصلحته، في نفس الوقت الذي حرص فيه على مصلحة أسرته و كذلك كان شأنه في التنظيمات الأخرى التي تتجاوز الأسرة كالمجتمع بمعناه الضيق و المجتمع البشري بمعناه الواسع، لقد وجهته العناية الإلهية دون أن يشعر إلى هذه التنظيمات الاجتماعية.

ويميز (فيكو) بين نوعين من العناية الإلهية:

أ. العناية الإلهية المتعالية المباشرة التي عبرت عن نفسها في أعمال تاريخية خاصة و فريدة، و هذه مقصورة على الشعب المختار.

ب. العناية الإلهية الباطنة أو الكامنة في التاريخ التي تعمل وفق قوانين موحدة و تستخدم وسائل طبيعية و بسيطة مثل العادات البشرية نفسها، و هي ما كانت تمتلكه كل الأمم.

و يتعارض النوع الأول " المباشر المتعالي " مع فاعلية البشر، فهي ها قد صنعت تاريخ البشر عن طريق الرسالات السماوية، أما النوع الثاني فهو لا يتعارض مع الفاعلية البشرية التي اتبعت وسائل بسيطة و طبيعية كالعادات البشرية. و إن كانت العناية الإلهية هي التي توجهه أيضا و لكن بطريق غير مباشر. فهي قد تركت البشر يتبعون قوانين موحدة و يستخدمون وسائل بسيطة فكانت أفعالهم البشرية هي التي تصنع التاريخ و تضفي معنى على التاريخ.[1]

[1]) عطيات أبو السعود: المرجع السابق، ص. 83.

و يزعم (فيكو) أنه لم يلجأ إلى فكرة العناية الإلهية ليبرر إمكان قيام العلم الجديد، و إنما هو افتراض أساسي يقوم عليه هذا العلم كما هو أحد وجوهه الرئيسية، بحيث أمكنه أن يصف العلم الجديد بأنه لاهوتي عقلي مدني عن العناية الإلهية.

كانت هذه هي الأدلة اللاهوتية التي يكملها (فيكو) بأدلة أخرى منطقية:

أولها: أن البحث في أصول التنظيمات البشرية في عالم الأمم سواء أكانت دينية أو غير دينية يجب أن يتوقف عند بدايته الأولى و يحدد الأصول التي لا توجد أصول أسبق منها.

ثانيها: تفسير طبيعة التنظيمات البشرية عن طريق التحليل الدقيق لأفكار البشر و خاصة أفكارهم عما هو ضروري و نافع للحياة الاجتماعية البشرية. لأن الضرورة و المنفعة هما المصدران الأساسيان للقانون الطبيعي للأمم، و لهذا يحلو لفيكو أن يصف علمه الجديد بأنه تاريخ الأفكار البشرية و قد بدأ التاريخ عندما بدأ البشر يفكرون بطريقة إنسانية لا عندما بدأ الفلاسفة يفكرون في أصول البشر.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن (فيكو) قد توصل لمبادئه عن طريق استقراء الحس المشترك الذي أدى إلى التنظيمات البشرية و لم يعتمد على كتابات المؤرخين و الفلاسفة الذين يقدر أنهم ظهروا بعد تأسيس الأمم بألفي سنة على الأقل. كما حرص منهج العلم الجديد على تحديد جغرافية الأفكار البشرية و تاريخها لكي يكون هذا التاريخ يقينيا.[1]

[1]) نقلا عن عطيات أبو السعود، المرجع السابق، ص. 84.

أما بالنسبة للأدلة اللغوية فهي تقوم على عدة نقاط: تتفق الأساطير من ناحية، مع التنظيمات التي يدرسها العلم الجديد اتفاقا مباشرا و طبيعيا، و سيكشف العلم الجديد أن الأساطير تواريخ مدنية للشعوب التي كانت بطبيعتها شعوبا شاعرية، كما تتفق الأساليب و التعبيرات البطولية من ناحية أخرى مع هذه التنظيمات، و يتعهد العلم الجديد بدراسة هذه التعبيرات البطولية بكل ما تحمله من صدق في الإحساس و من خصائص التعبير.

و تتفق التنظيمات مع اشتقاقات اللغات الأصلية، فالعلم الجديد يدرس الكلمات من حيث دلالتها على تاريخ التنظيمات الاجتماعية بحيث يبدأ بمعانيها الأصلية و يتتبع تطورها الطبيعي.

و يرى (فيكو) أن الأدلة تكشف لنا طريقة واقعية كما كشفه لنا التأمل الفكري في التاريخ، فبحثه اللغوي في أصل التنظيمات الاجتماعية يؤيد بطريقة طبيعية ما توصل إليه من قبل بطريقة فكرية و فلسفية و بذلك يحقق صدق منهج (بيكون) الذي عبر عنه بكلمة << فكر و انظر >> أي أن الدراسة اللغوية ستقدم أدلة واقعية تؤيد الأدلة الفلسفية التي اهتدى إليها بالتفكير.

و الواقع أن قيمة منهج (فيكو) تتجلى في أنه شق طريقا جديدا لم يسبقه إليه أحد، فهو لا يبحث في وثائق الماضي إلا عما يمكن أن تقدمه لنا من تاريخ الذين صنعوها و معتقداتهم، و قد كان منهجه منذ البداية منهجا متكاملا لأنه يدرس تاريخ البشرية دراسة استقرائية كاستقراء (بيكون) للطبيعة، كما يبحث مراحل تطوره بدلا من تأليف فروض مصطنعة عنه، و المادة التي يستخدمها (فيكو) في هذا الاستقراء عن الماضي البعيد هي التراث الأسطوري الشعبي الذي يسجل مهما كانت أشكاله و مهما حرف الواقع التاريخ القديم للشعوب و لهذا نراه يرجع للأشعار القديمة مثل أشعار (هوميروس) و التشريعات البدائية مثل قانون الألواح الإثنى عشر.[1]

[1]) عطيات أبو السعود: المرجع السابق، ص. 86- 87.

4) الدراسات التاريخية في العصر الحديث و المعاصر:

لقد عرف العصر الحديث العديد من الفلاسفة ممن كانت لهم نظريات في تفسير الوقائع التاريخية، و نذكر في هذا المجال: النظرية المثالية عند (هيغل)، و النظرية المادية عند (كارل ماركس)، و لعل ما يميز هذه النظريات تركيزها على المجتمع بدل من الفرد.

كما أن التقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية في القرن 19 أظهر لدى بعض المؤلفين إمكانية تطبيق طرائق العالم الطبيعي في الدراسات التاريخية.

المبحث الأول: النظرية المثالية و المادية في تفسير الأحداث التاريخية:

1 – النظرية المثالية (جورج فريدريك هيغل نموذج) (1770 – 1807):

يقوم تصور (هيغل) للتاريخ على فكرة أن الأحداث التاريخية تكمن ورائها إرادة مخططة و من ثم فهي ليست وليدة الصدفة، و أن الفكر أساس كل موجود و الآراء و الأفكار هي التي تسير التاريخ، << فالنهضة الأوروبية مثلا قامت على أساس أفكار النابغين في غرب أوروبا ابتداء من القرن 13، كما أن الثورة الفرنسية الكبرى التي اشتعلت منذ 1789 إنما قامت متأثرة بأفكار الفرنسيين الذين يمثلون عصر التنوير العقلي[1] >>. أمثال (فولتير) و (مونتيسكيو) و (ديدرو) و (جون جاك روسو).

[1]) خاليد طحطح: في فلسفة التاريخ، ط.1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2009، ص. 52.

يقول (هيغل): << إن فلسفة التاريخ لا تعني شيئا سوى دراسة التاريخ من خلال الفكر،و الواقع أن الفكر جوهري للإنسان، فهو يميزه عن الحيوان[1]>>. و الفكرة الأساسية لعلم التاريخ عند (هيغل) أنها سلسلة من تطور الوعي بالحرية، و هو تطور منطقي قائم على مفهوم التقدم نحو النظام و المعقولية والحرية و العدالة.

فتاريخ العالم إذن مسار تكافح فيه الروح لكي تصل إلى وعي بذاتها بمعنى لكي تكون حدة، و بالتالي فمضمون الفلسفة الهيغلية أن التاريخ تجل و تجسد للفكر و أن الأفكار هي العامل الحاسم في توجيه التاريخ و تسييره و دفعه إلى الأمام و عليه فالفكر هو التاريخ و التاريخ هو الفكر مجسدا في الإنسان، و لهذا فمن الطبيعي أن تكون نهاية التاريخ هي نهاية الفكر و نهاية الفكر هي نهاية التاريخ.

و لما كان الإنسان كائنا عاقلا مفكرا يكتسب مع الزمن معارف و مهارات مختلفة و يسعى لتحقيق الاستقلالية و الحرية، اعتبر (هيغل)صيرورة الزمن تتجه من الأدنى إلى الأكثر كمالا، و اعتبر تاريخ العالم ما هو إلا تقدم نحو الشعور بالحرية، ذلك أن الإنسان بممارسته للحرية، كحرية الاختيار يشعر بوجوده الروحي و لذلك ربط (هيغل) بين الحرية و العقل برباط وثيق، حيث اعتبر الحرية ماهية العقل و أصر على أن ما يحدث من تغيير في العالم المادي الحقيقي أنما إنما هو انعكاس لا إرادي لتقدم و تطور روح العالم، و الروح عند (هيغل) تعني العقل أو الفكر الذي يسيطر على الكون أو يحكم العالم.

و نتيجة للجانب المثالي في نظرية (هيغل) فقد كثر أنصاره، و قدموا تعريفات عدة للتاريخ من واقع هذه النظرية و من هؤلاء المؤرخ الإنجليزي (ج. ويلز) الذي ذكر أن تاريخ الإنسانية يكمن في التاريخ الجوهري للأفكار.[2]

[1]) هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة و تقدير و تعليق، إمام عبد الفتاح إمام، ط.3، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان ،1983، ص.77.
[2]) خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص. 53.

2 – النظرية المادية: (كارل ماركس نموذج) (1818 – 1883):

ترجع الجذور الأولى للمادية التاريخية الدياليكتيكية إلى أفكار الفلاسفة اليونانيين الأوائل الذين اعتبروا المادة أصل الطبيعة و الحياة.

و تعتبر المادية الدياليكتيكية حاليا من المكونات الأساسية للنظرية الماركسية، التي شيد عليها الفيلسوف الألماني (كارل ماركس) تفسيره للتاريخ البشري، و تعتمد النظرية الماركسية في تفسير التاريخ على منهج (هيغل) القائم على الجدل، مع تغيير جوهري في المضمون فقد اعتبر كل من (كارل ماركس) و (فريدريك انجلز) جدل (هيغل) واقفا على رأسه بدلا من قدميه لنزعته المثالية. و قد ألبس هذا الجدل ثوبا ماديا صرفا، ثم طبقاه على الظواهر الإنسانية و الطبيعية.

قال (كارل ماركس) في رسالته الموجهة إلى (كولجمان):<< إن قوانين الجدل الصحيحة موجودة فعلا عند (هيغل) لكنها في صورة مثالية و لابد أن ننزع عنها هذه الصورة [1]>> لقد قرأ (ماركس) جدلية (هيغل) و أعجب بها، لكنه وجدها مثالية تتحدث عن صراع الأفكار، فأخذ الفكرة و غير ميدان الصراع قائلا أنه بين طبقات المجتمع.

[1]) نقلا عن خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص، 58.

إن التاريخ البشري عند (ماركس) ليس في النهاية سوى صراع طبقات، تفوز فيه الطبقة التي تنسجم مع تطور وسائل الإنتاج والعلاقات الاقتصادية الناشئة ويظل هذا الصراع قائما إلى أن تفوز طبقة العمال، فتزيل الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، فيتساوى الناس المساواة الاقتصادية التامة وهي في نظرهم المساواة الحقيقية ويصبحون بذلك كلهم طبقة واحدة وتذهب بذلك أسباب الحروب وينتشر العدل والإخاء والسلام.

وكل شيء في نظر (ماركس) يتضمن نقيضه، بحيث كل شيء يهدم نفسه وهذا التصور العام لمبدأ النقيض، ولكن (كارل ماركس) يستخدمه للتدليل على وقوع انهيار الجماعات التي قامت على الرأسمالية، فالجماعات السابقة عليه وهي الملكيات المطلقة والوراثية والإقطاعية والزراعية انهارت في رأي الماركسية لأنها تضمنت عنصر النقيض وعلى هذا الأساس ستنهار الرأسمالية وتتحول إلى النقيض، وهي الاشتراكية ذات الطبقة الواحدة.[1]

على الرغم مما تناولته المادية التاريخية عند (كارل ماركس) من قضايا مثل الحتمية التاريخية والتطور التاريخي والصراع الطبقي بهدف دراسة علمية للتاريخ إلا أن نظريته في تفسير التاريخ جاءت بعيدة عن علمية التاريخ حيث أهملت العوامل القومية والعقائدية والمذهبية والنفسية والروحية وغيرها.

فالصواب عند تفسير التاريخ إدراك أن تاريخ الإنسان تكونه عوامل كثيرة ليس فقط الاقتصاد.

[1]) خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص، 61.

لقد بالغت الماركسية في إعطاء الاقتصاد الدور المسيطر في حركة التاريخ، وتجاهلت التأثيرات الروحية الكبرى في الانتفاضات الاجتماعية، وبالأخص إذا كانت الإيديولوجيات الدينية هي المحرض الأول، لذلك نجد مثلا البروفيسور (دي،إيج،كول) الذي يعد من أشد الناس احتراما للماركسية يرفض أن يعترف بالعامل الوحيد الذي يقرر الكيان الاجتماعي لأية أمة كيفما كانت، إذ يقول في كتابه " معنى الماركسية " لقد أظهرت بحوث علم الإنسان " الأنتربولوجية " أشكالا حضارية مختلفة جدا لا يمكن أن تفسر قط تفسيرا اقتصاديا محضا.

إن الأساس الاقتصادي للمجتمع عامل واحد فقط من عوامل تصوير الشكل العام للحضارة، لذلك لا يجب تفسير التاريخ على أساس مبدأ واحد وإنما على أساس عدد من العوامل المعقدة المتشابكة التي تتداخل معا.[1]

بالإضافة إلى ما سبق فإنه يؤخذ على المادية التاريخية أنها تعتبر الإنتاج وحده هو الذي يحدد شكل العلاقات بين الأفراد، وأن قوانين الصراع الطبقي ونمو التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية هي فقط القوانين الحقيقية التي تحكم مسيرة التاريخ، فجميع الدوافع الأخرى في حركة التاريخ تدعمها في الداخل الأحوال المادية.

إن أصحاب المادية التاريخية لم يأخذوا التاريخ كنموذج يستنبطون منه قانون حركته وإنما اختاروا بضع مراحل وأحداث هي التي وجدوا فيها مصداق كلامهم وأهملوا الباقي، حيث ركزوا على التاريخ الأوروبي.[2]

[1]) خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص. 56.
[2]) خاليد فؤاد طحطح: المرجع نفسه، ص. 66.

لقد حاول (ماركس) أن يصوغ القوانين الاجتماعية على غرار القوانين الطبيعية وكان في ذهنه هدف واحد، وهو أن يبرهن بطريقة ما على أن أسلوب الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يعين الطابع العام لطرق الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية، وعلى هذا الأساس فإن التاريخ الإنساني هو تاريخ الصراع الناشب بين الطبقات الاجتماعية، وأن الحالة الاقتصادية هي التي تحدد بصفة قاطعة النظم الأخلاقية والدينية والاجتماعية والسياسية.[1]

فبالرغم من اعتبار الجهود الرامية لإرضاء الحاجات المادية هي عوامل أساسية في التاريخ الإنساني، إلا أن التصور بأن جميع وجوهها محددا في النهاية بهذه الاحتياجات، وطرق إرضائها قد حورب ويمكن أن يحارب على أساس من وقائع التاريخ نفسه.

فإذا كانت نظرية (هيغل) القائلة بأن الفكر أساس كل ما هو موجود وأن العقل الإنساني يتحرك دائما متقدما نحو الأمام ليصل إلى العلم المطلق قد بلغت القمة في التجريدفإن الماديين الذين انتقدوا مذهبه ذهبوا في تفسيرهم مذهبا خالصا، وهكذا انتقلوا من النقيض إلى النقيض، ووقعوا في مبالغات كثيرة غير منطقية.

فبدلا من قيام (ماركس) بتعديل وضعية الرجل الهيغيلي الذي يمشي على رأسه فقد أخطأ المحاولة وجعل الرجل المسكين يمشي على بطنه أي على معدته!!.[2]

لذلك فدراسة التاريخ يجب أن تنطلق من الشمولية ، فهناك عدة عوامل غير العامل الاقتصادي كالولاء و الإيمان و المبادئ و الأعراف و غيرها هي التي تحفز الإنسان على العمل و التغيير أحيانا.

[1]) خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص. 66.
[2]) خاليد فؤاد طحطح: المرجع نفسه، ص. 66- 67.

المبحث الثاني: النزعة الوضعية التاريخية و الانتقادات التي تعرضت لها:

1- النزعة الوضعية التاريخية:

إن التقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية في القرن 19، قد أولد لدى بعض المفكرين الاعتقاد بإمكانية تطبيق طرائق العالم الطبيعي في العلوم الاجتماعية.[1] وتجلى ذلك لأول مرة في كتاب (أوجست كونت)" مدخل إلى الفلسفة الوضعية " 1830. والذي كان له صدى واسع في سائرأنحاء أوروبا و أمريكا.

ويقصد بالفلسفة الوضعية : المذهب الذي أسسه الفيلسوف الفرنسي (كونت) والذي كان يرى أن الفكر البشري لا يستطيع أن يكشف عن طبائع الأشياء ولا عن أسبابها القصوى وغاياتها النهائية. وإن كان يستطيع أن يدرك ظواهرها، ويكشف عن علاقاتها وقوانينها.

يقول (كونت):<< لما أدرك الفكر البشري هذه الحالة الوضعية وعرف أنه ليس في مقدوره الحصول على حقائق مطلقة، عدل عن البحث عن مبدأ العالم وغايته وعن الكشف عن الأسباب الباطنية للأشياء، وانصرف باستخدام الملاحظة والاستدلال معا على وجه حسن إلى الكشف عن قوانين الظواهر، أي عن علاقاتها الثابتة التي لا تتغير.[2]

[1]) كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي، ترجمة، عبد الحميد صيره، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1959، ص. 09.
[2]) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج.2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان،1983، ص. 579.

وفي ميدان التاريخ حاول العديد من الباحثين تطبيق برنامج (أوجست كونت)ففي إنجلترا كان (بكل*) بصفة خاصة هو الذي حاول تنفيذ برنامج (كونت)، فقد عارض الاعتقاد القائل بوجود شيء في عالم الإنسان يمكن تركه للمصادفة، أو أن هناك شيئا يخلو من النظام الطبيعي وحتميته الصارمة، لكنه لم يستمد أدلته الخاصة بهذا الاطراد والضرورة في الأمور الإنسانية من التاريخ، بقدر ما استمدها من الإحصاء الذي أظهر أن الحرية المزعومة للإرادة الإنسانية وهم. وهكذا استطاع (بكل) أن يزيل كل الفوارق بين العالم الاجتماعي و عالم الطبيعة و بين الأخلاق وعلم الطبيعة، فعدد الجرائم التي تقترف كل عام تخضع لقوانين رياضية صارمة مثل أية ظاهرة طبيعية، و على المؤرخ أن يقف موقفا وسطا بين الأخلاقي و عالم اللاهوت و الميتافيزيقي من ناحية و بين عالم الطبيعة من ناحية أخرى. وقد أكد (بكل) << أن توطيد شروط هذا التحالف يغير تحديد الأساس الذي يعتمد عليه كل التاريخ.>> والنتيجة التي توصل إليها إدماج التاريخ في علم الطبيعة.

وفي فرنسا نجد المؤرخ و الفيلسوف الفرنسي (هيبوليت تين 1828-1893) الذي ذهب إلى أبعد ما ذهب إليه (أوجست كونت) حينما حاول التخلص من كل ما يمت إلى نظرية (هيغل) بصلة، وكان كل ما يعنيه هو الوقائع إلا أنه أدرك أن الوقائع لا يمكن أن تكون وحدها علما فالقاعدة تقول: << بعد جمع الوقائع ابحث بعد ذلك عن العلة >>.[1]

*) هنري بكل: مؤرخ إنجليزي.

[1]) ارنست كاسيرر: في المعرفة التاريخية ، تر. احمد حمدي محمود، مراجعة، علي أدهم، ط.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997. ص. 38.

و لكن ينبغي ألا يظل هناك وسيلتان مختلفتان للبحث عن العلل فمن الواجب ألا يترك المؤرخ العالم الحسي ليبحث عن الأسباب الحقيقية و النهائية للوقائع في عالم مثالي بل عليه أن يدع الظواهر تتحدث عن نفسها، و تفسر نفسها و من ثم فعنده لا يمكن أن توجد أي معاير قبلية من أي نوع كذلك أي شعور بالتعاطف الشخصي أو النفور، فعندما كتب في تاريخ الفن اشتملت كتابته على كل الصور، و كل المدارس بغير تمييز، إن هذا التاريخ كان مثل علم الثبات الذي يبحث بمنهج واحد.

و بذلك تم إعداد برنامج الكتابة التاريخية الوضعية الجديدة الذي لا يسمح بأي شيء سوى العلل الطبيعية، وصك العبارة الشهيرة الخاصة بأنه على المؤرخ أن ينظر الفضيلة و الرذيلة كما ينظر الكيميائي إلى السكر و حامض الكبريتي و عليه أن يرضى بتحليل كل منهما إلى عناصره دون أن يضيف إلى تحليله أي نوع من الحكم الأخلاقي فلا مجال لمثل هذه الأحكام في أي بحث عن العلية.

فهناك علل للطموح و الشجاعة و الحقيقة كما أن هناك عللا للهضم و الحركة العضلية و الحرارة الحيوانية، فلنبحث إذن عن الظواهر البسيطة للخصائص الخلقية، كما نبحث عنها في الصفات الطبيعية.[1]

[1]) ارنست كاسيرر: المرجع السابق، ص. 38- 39.

هناك سلسلة من العلل العامة الكبيرة، وأن التكوينات العامة للأشياء و السبل الكبرى التي تتبعها الأحداث لمن أثارها.و ما الأديان و الفلسفة و الشعر و الصناعة و الفنون و هياكل المجتمع و العائلات في الواقع سوى طبعات قد ختمت بطابعها أو بختمها.[1]

و التاريخ إذ نظر إليه بهذه النظرة لا يصبح أنتروبولوجيا فقط بل يصبح تشريحيا كذلك، و نستطيع أن نتأكد من العثور فيه على الدوام وراء كل تنوعات الأحداث و اختلافها إلى درجة كبيرة على نفس الهيكل العظمي الذي لا يتغير كثيرا أو قليلا، فالوقائع تتغير، و لكن هيكلها يبقى و في هذا يقول (تين) :<< إن التاريخ اليوم مثل علم الحيوان، فقد اكتشفت طريقة تشريحية، و بغض النظر عن فروع العلوم الذي تتجه إليه سواء قمنا ببحث مسألة فيلولوجية أو لغوية أو أسطورية، فعلينا دائما أن نتبع هذه الوسيلة لكي نهتدي إلى نتائج جديدة و مثمرة >>.[2]

[1]) ارنست كاسيرر: المرجع السابق، ص. 39.
[2]) ارنست كاسيرر: المرجع نفسه، ص. 39.

2 – نقد:

إن دراسة التاريخ بالمفهوم الذي عولج به في القرن 19 كان هدفا لنقد العديد من فلاسفة التاريخ المعاصرين نذكر منهم الفيلسوف الإنجليزي (روبين جورج كولينجوود) في كتابه " فكرة التاريخ " حيث عارض مضمون الفلسفة الوضعية و رفض أن يكون التاريخ مرادفا للطبيعة.[1]ذلك أن التاريخ عنده عبارة عن نشاط يصدر عن الإرادة الحرة،[2] و ليس مجرد تجميع لأحداث متعاقبة و متراكمة يتم إدراكها بالطريقة نفسها التي تدرك بها العلوم الطبيعية.

إن التاريخ يختلف كليا عن الطبيعة، إذ هو عبارة عن أحداث لها باطنها و نعني بالباطن مجموع العلاقات الإنسانية المعقدة (علاقات سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية...) و لذلك يتعين على المؤرخ أن يغوص في هذه الظواهر التي تدخل في تشكيل الأحداث التاريخية، و في ظل هذا الموقف المنهجي فإن الطريقة المتبعة عند الوضعيين و التي تعتمد على الوصف، لا تكون لها أي نتائج معرفية فعالة.

[1]) كولينجوود: المرجع السابق، ص. 396.
[2]) كولينجوود: المرجع نفسه، ص. 537.

قائمة المصادر:

1 - ابن خلدون: المقدمة، ط 1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004.

2- ارنست كاسيرر: في المعرفة التاريخية،دار النهضة العربية،مطبعة دار التاليف،مصر،1997.

3- بيكون فرانسيس: الأورغانون الجديد، تر: عادل مصطفى، رؤية للنشر و التوزيع، 2013.

4- ديكارت رونيه: مقال في المنهج، تر: محمود محمد الخيضري، ط 2، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، 1968.

5- كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صيري، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1959.

5- كولينغوود روبين جورج: فكرة التاريخ، تر: بكير خليل، مراجعة: محمد عبد الواحد خلاف، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر، 1961.

6- مارو: من المعرفة التاريخية، تر: جمال بدران، الهيئة المصرية للطباعة و النشر، 1964.

7-- هرنشو: علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، ط 2، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1982.

8– هيغل جورج فريدريك : محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة و تقديم و تعليق: إمام عبد الفتاح إمام، ط 3، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1983.

قائمة المراجع:

1 - أحمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، ط 6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1983.

2 - أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1975.

3- جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981.

4- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط 2، دار المعارف، القاهرة، مصر.

5- حسن مؤنس: التاريخ و المؤرخون (دراسة في علم التاريخ) دار المعارف، القاهرة، مصر، 1974.

6- خاليد فؤاد طحطح: في فلسفة التاريخ، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2009.

7- زينب محمود الخضيري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، بيروت، لبنان، 2010.

8- عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، بيروت، لبنان، 1988.

9- عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1997.

10- فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز الناشر الجامعي، تونس، 2000.

11- قاسم يزبك: التاريخ و منهج البحث التاريخي، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990.

12- ليلى الصباغ: دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط 1، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، سوريا، 1979- 1980.

13- محمود محمد الحويري: منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

14- مصطفى النشار: مدخل إلى الفلسفة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، مصر، 2005.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1 - Ch. Oman : On the writing of history, London, 1939

قائمة المعاجم و الموسوعات:

1 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

2 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

خاتــمة:

يبدو جليـا أن الدراسـات التاريخية ساهمت إلى حد بعيـد في تمكيننا من فــهم معنى التـاريـخ و مغزاه. إذ لـم يعد ينظر إليه على أنه عبارة عن قصص خرافية، أو أن هناك قوة غيبية هي التي تتحكم و تدير أحداث التاريخ، و نحن نعني بذلك التفكير التاريخي الذي كان سائدا عند الإغريق القدامى بالاستبعاد النسبي لأعمال (هيرودوت) و (ثيوسيديدس)، أضف إلى ذلك الدراسات التاريخية في العصور الوسطى أين أصبح التاريخ الإنساني في جله من مشيئة الله.

لكن و مع أعمال ابن خلدون و قيام عصر النهضة في أوروبا أضحى للتاريخ قيمته المعرفية. إذ أصبح علم تحقيق و تدقيق و تعليل للحوادث التاريخية كما ارتكز التفكير على الإنسان بوصفه العامل الأساسي في صيرورة التاريخ. و لقد أسفرت الدراسات التاريخية على ظهور العديد من المناهج التاريخية و ذلك كله من أجل بلوغ الدقة و الموضوعية في المعرفة التاريخية، و بالخصوص ظهور النزعة الوضعية في النصف الثاني من القرن 19 التي حاولت تطبيق المناهج التجريبية في الدراسات التاريخية. إلا أن ذلك تعرض لنقد لاذع كما رأينا من قبل فلاسفة التاريخ المعاصرين لاختلاف الحوادث التاريخية عن الحوادث الطبيعية.

فالحوادث التاريخية هي حوادث إنسانية معقدة تتداخل فيها العديد من العوامل: السياسية، الثقافية، الاقتصادية،الاجتماعية...الخ.

كذلك الحوادث التاريخية هي حوادث متغيرة، فالتاريخ لا يعيد نفسه كما عبرعن ذلك الفيلسوف الألماني (جورج فريدريك هيغل) بخلاف الحوادث الطبيعية التي تتصف بالثبات. و هو ما يجعل من الدراسات الوضعية فارغة المعنى من وجهة نظر العديد من فلاسفة التاريخ المعاصرين.

و هو ما يدل في الأخير على صعوبة بلوغ الموضوعية في الدراسة التاريخية، إذ يقتضي الأمر الاستعانة بالعلوم الأخرى و الاستفادة منها و التي من بينها علم الاجتماع او علم العمران كما أقر ذلك العلامة المؤرخ الإسلامي عبد الرحمان ابن خلدون.

الفهرس

مقدمة 02

الفصل الأول: مفهوم التاريخ.

المبحث الأول: المقصود بالتاريخ.....07

المبحث الثاني: مكانة التاريخ بين العلوم و الفنون 09

المبحث الثالث: موضوع التاريخ 12

المبحث الرابع: الهدف من التاريخ 13

الفصل الثاني: الدراسات التاريخية عند الإغريق القدامى و المسلمين.

المبحث الأول: الدراسات التاريخية عند الإغريق القدامى 16

1 - المرحلة الابتدائية لكتابة التاريخ 16

2 - نشأة التاريخ العلمي على يد (هيرودوت) 17

المبحث الثاني: الدراسات التاريخية عند المسلمين 18

1 – كيفية كتابة التاريخ عند المسلمين قبل ابن خلدون 18

2 – مجيء ابن خلدون و نقده لمنهجية كتابة التاريخ 19

الفصل الثالث: الدراسات التاريخية في عصر النهضة الأوروبية.

المبحث الأول: المفكرين الذين كانوا وراء قيام النهضة العلمية الحديثة 23

1 – فرانسيس بيكون 23

2 – رونيه ديكارت 27

المبحث الثاني: ظهور الاتجاه النقدي في التاريخ (فيكو) 28

1 – فيكو و انتقاداته لكل من ديكارت و المؤرخين السابقين 28

2 – مبادئ العلم الجديد 32

3 – المنهج 33

الفصل الرابع: الدراسات التاريخية في العصر الحديث.

المبحث الأول: النظرية المثالية و المادية في تفسير أحداث التاريخ 40
1 – النظرية المثالية (هيغل) 40
2 – النظرية المادية (ماركس) 42
المبحث الثاني: النزعة الوضعية التاريخية و الانتقادات التي تعرضت لها 46
1 – النزعة الوضعية التاريخية 46
2 – نقد 50
خاتمة 52